

وبعد أن يوازن بين التعبير بالحقيقة والتعبير بالمجاز ، ويوضح فضل التعبير بالمجاز ، يبين أن هذا النوع من المجاز ليس يسيرا يقدر عليه كل كاتب ، أو مشاعا يتوجه اليه كل باحث ، بل هو « كنز من كنوز البلاغة ، ومادة الشاعر المفلق ، والكاتب البليغ في الابداع والاحسان ، والاتساع في طرق البيان ، وأن يجيء بالكلام مطبوعا مصنوعا ، وأن يضعه بعيد المرام ، قريبا من الأفهام » . بل يدق ويلطف حتى يمتنع مثله الا على الشاعر المفلق ، والكاتب البليغ ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأتق لها (٢٧٣) .

فهذا التركيب الذى له تلك الميزة ، وذلك الابداع والاحسان في أداء المعنى ، والاتساع في طرق البيان ، والوصول الى الهدف عن طريق المعقول ، لم يكن الا نتيجة لهذا الاسناد الحاصل في الاثبات ، والمجاز الذى أتى عن طريق المعقول ، فالتركيب النحوى اذا كان على هذه الصورة ، والعبارة اللغوية اذا جاءت على تلك الهيئة ، هى التى تولد هذا الفضل ، وتبرز تلك المزية ، وتسبب ذلك الجمال ، ولو أننا حولنا هذا التركيب المجازى وهذا الاسناد العقلى عن وجهته تلك الى الوجهة الحقيقية لفات هذا الحسن ، ولخلا هذا التركيب من كل فادر وطريف .

« فالمزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيما طريقه الفكر والنظر . . ومن هنا لم يجز اذا عد الوجوه التى تظهر بها المزية أن يعد فيها الاعراب :

وذلك لأن العلم بالاعراب مشترك بين العرب كلهم ، وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية ، فليس أحدهم بأن اعراب الفاعل